

الأكسسوارات.. تراث وابداع

جاندارك هوزايا

يؤكد العلماء والاثاريون أن "حضارة بلاد النهرين"، هي أعرق وأنضج حضارة.. فمشاريع الزراعة والري، واكتشاف الكتابة والتدوين حيث يبدأ التاريخ، والمكتبات الضخمة، والمشاريع العسكرية والاختراعات التي رافقتها.. أنتجت أمبراطورية متطورة وقوية، وجدت على الآثار والمنحوتات، بعضها تزين المتاحف العالمية والعراقية، وغيرها لم يكتشف بعد..

تؤكد الشواهد التاريخية والمعنيون ان الانسان النهري لم يكن عاريا كانسان الكهوف، وانما كان يرتدي قطع تغطي النصف الاسفل من الجسم، كما ظهر في المنحوتات، حيث تعود معرفته بصناعة النسيج الى ٤٠٠٠ سنة ق.م، وقد سبقت حضارة بلاد الرافدين الحضارات الاخرى في هذه الصناعة، والتي اعتمدت على جلود الحيوانات التي يصطادها كمواد أولية - إضافة الى الوبر والشعر وغيرها.. وبعدها قام بزخرفتها بتلوينها، كما زرع - من بين ما زرع - الكتان (كادا) حيث صنع منه لباس الالهة والملوك..

تطورت صناعة النسيج في بلاد النهرين، فأستخدمت حياكة الشعر الناعم الكثير الوبر بعد غسله وتمشيطة وقصه من الاغنام، وأيضا قام بصنع اللباد من مادة الصوف، فالتطور الشامل الذي شهدته أرجاء الامبراطورية البابلية الاشورية، شمل نواحي التصاميم، واتباع اسلوب مبتكر في الزخارف الفنية الغزيرة بمفرداتها والمستوحاة من الطبيعة والمجتمع والاساطير..

وتعددت التصاميم، وأختلفت خاصة لتلائم المناسبات، كالأعياد وطقوس العبادة والانتصارات العسكرية، وأحد هذه التصاميم، عبارة عن جلباب طويل مصنوع من الصوف او القطن او الكتان او الحرير، ومطرز بخيوط معدنية وصوفية متباينة الالوان.. وتتضح هذه الزركشات والزخارف على الرقم والالواح وعلى الجدران، وقد كثر عدد النساجين، للحاجة الماسة الى الملابس، وفي تزيين القصور والمعابد.. وأستخدم فن التخريج، وهو تطعيم الملابس بقطع زخرفية مغايرة لارضية القماش الاصلي، كالنجوم والازهار والمربعات..

كما ان اعمال الصباغة وتحضير الالوان من مصادر مختلفة نباتية او حيوانية، وحتى معدنية، قد شهدت تطورا.. إذ تؤكد الالواح ان الصبغة المفضلة كانت الحمراء، واللون البنفسجي استخدم من قبل الخيالة الملكيين.. ولوحظ في عهد الملك سرجون الثاني استخدام اللون الازرق بشكل بارز، وتطورت العمليات الكيماوية، فتم استخراج اللون الاصفر من نبات الكركم

والزعفران، وخطط الالوان بنسب معينة ومزجها وتثبيتها، باستخدام لحاء شجر البلوط وقشر الرمان وغيره..

عبرت المادة التراثية الغزيرة عن طبيعة العصور والبيئات التي انتجت هذه المادة، فكانت مرآة عكست دلالات متنوعة اجتماعية وفنية.. فالتراث يربط بين الاجيال المختلفة، ويزيل حاجز الزمن، ويشكل كيانا قوميا وثقافيا، وجزءا من النسيج الاجتماعي.. وتكمن مهارة الفنان المعاصر في الموازنة الدقيقة بين التراث والعصر، بحيث لا يطغي احدهما على الاخر في الاثر الفني..

الازياء الفلكلورية من مآثورات الفن الشعبي، وموضوع هام فى الدراسات العلمية والاجتماعية، فهي تحمل روح الشرق وجماله، وان الحياة الحديثة المعاصرة تهدد الموروث من هذه الازياء بالزوال تدريجيا، فدأب المعنيون من فنانين ومختصين، والمهتمون الى السعي لانشاء متاحف دائمية لحفظ نماذج هذه الازياء، وتشجيع صناعتها وتطويرها وصقلها من حيث المستوى الفني والذوقي.

والتنقيبات في نينوى وخرسباد العاصمة السرجونية، والحضر ونمرود - الكالچ - تحكي قصة الانسان النهريني وقدرته على الابداع، تلك القدرة المشفوعة بالارادة القوية لانجازات كبيرة تخلد عبر الاجيال، فالتحف الاثرية وتحديدات تماثيل النساء، سواء كانت للملكات والالهة او غيرها من طبقات المجتمع (مع وجود الاختلاف)، يبدو جليا اهتمام المرأة وشغفها بمعالم الزينة والجمال، من خلال الازياء وتفاصيلها او الاكسسوارات (الحلي والمجوهرات) التي ترفع من جمال الزي، وتكمل أناقته..

وتوصلت التنقيبات في القصور والمعابد الضخمة والمقابر الملكية الى اكتشاف الادوات المنزلية والحلي النفيسة والتيجان وأدوات الزينة والترف، واكسسوارات مطعمة بالذهب والفضة، كالاساور والقلائد ودبابيس الشعر وغيرها، والتي تظهر مهارة وابداع الصائغ النهريني الذي يصب افكاره ومشاعره في المعدن الذي يعمل في صياغته ونقشه وزخرفته.. كما نستدل على أن النحاس هو اول المعادن التي اكتشفت، ثم القصدير يليه الاثمد الذي استخدم ككحل للاهداب، أما الذهب فتشير النصوص التاريخية الى ان اول استعمال له في المعاملات الرسمية كان في حدود الالف الاول ق.م..

والاكسسوارات هي اللمسة السحرية الأخيرة التي تعكس الذوق والجمال.. وتعتبر مكملة وملزمة للأزياء، وإن ذوق الشخص والمناسبة الاجتماعية، يحددان نوع وشكل الإكسسوار، وأهميته في حياة النساء، على اختلافاتهم العمرية والطبقية..

والاكسسوارات مجوهرات مقلدة أو تصنع من مواد تختلف عن مواد المجوهرات الأصلية، والخامات المستعملة في تصنيعها ليس لها حدود تبدأ من الخشب إلى الزجاج، الكريستال، الجلد، القماش، البلاستيك، وكل أنواع المعادن و الأحجار والأسلاك. وبعد تجميع الخامات، يمكن مزجها أو تطعيمها، لخلق قطعة مميزة، كما يمكن الاكتفاء بخامة واحدة، وهذا يتوقف على المهارة الفنية للمصمم، ونوع الخامة، وطريقة التنفيذ..

ولازالت النساء في مجتمعنا تحافظ على هذا التقليد، فتهتم بمظهرها واناقتها وتحب التجميل بالحلي والمجوهرات سواء كانت من الذهب والفضة أو المطعمة بالعاج واللؤلؤ أو المطلية

بالمينا، وقد تستعويض عنها النساء بتلك الاكسسوارات المقلدة وتسمى (الحلي والمجوهرات الكاذبة)..

وتوارث العراقيون فن صياغة الحلي وامتتها البعض منهم، وان نينوى وأطرافها احتضنت العديد من اولئك الصاغة المهرة، الذين صاغوا فنا راقيا مستمدا من الحضارة النهرينية القديمة، تميز بالدقة في الصياغة والزخرفة والنقش والذوق الجميل، مما أكسب تلك المصوغات قيمة اثرية وجمالية.. ويلاحظ تكرار وردة البييون "وردة البانج في الحلي وأدوات الزينة وكذلك للاواني والمنحوتات، وهي وردة ربيعية تكثر في سهول نينوى، فصها اصفر وأوراقها التوجيهية بيض.

هناك شبه كبير بين الحلي والمصوغات التي وجدت في مقتنيات الملكات وتلك المستخدمة اليوم، وخصوصا في قرانا الكلدواشورية السريانية، وان وجد الاختلاف فبسيط، فغطاء الرأس مثلا البعض يضيف طاسة من الذهب أو الفضة أو النحاس، وغيرها من القرى تكتفي بالكفية الملونة أو البيضاء، وقد تختلف تسمية هذه الحلي من منطقة لاخرى باختلاف اللهجات، الا ان معظم الاسماء التي تطلق على أجزاء ومكونات الالبسة التراثية والاكسسوارات لها أصولها اللغوية السريانية، ولا زالت متداولة في لغتنا المحكية.



ا- حلي ومصوغات الرأس :**طاسة:**

طاسة: عبارة عن طاسة حلقيه الشكل مزخرفة، تكون من ليرات ذهبية أو من الفضة او النحاس، واحيانا ذات قبة بارزة وتسمى في بعض القرى (فيس). طاسة مصنوعة من الذهب عليها نقوش

**مكروما:**

مكروما: طاسة نحاس، يلفها قماش مبروم ومطعم بالفضة، أو كفية لونها زيتوني مذهب ذات عقد وتزين بسلاسل على الجانبين (قوطازى)

سك:

حصرائى: ليرات ذهبية تزين البوشية وتتدلى من أعلى الاذنين.

منتشه:

منتشه: ليرات ذهبية ترتبط مع بعضها بسلاسل لتزين بوشية الرأس وأحياناً تكون مطعمة بالشذر والعقيق.

بسكى:

بسكى: قطع تتدلى من جانبي الـ (بوشيا) وتغطي الاذنين.

مقومي:

مقومي: خرز ملونة لتزين الـ (بوشيا).

حصت:

كسنى: خرز حمراء اللون تزين الـ (بوشيا).

جيه تسيك:

كوكى او كوكيائا: عقد حرير بالخرز الملونة تزين نهايات الـ (بوشبا) وتسمى ايضا (بوبكى) و(كمبوشياثا) و(كورنكى) و(كيفيى).

حلتك:

كلابى: حلي ذهبية في احد طرفيه قطعة مثلثة فيها شذرات ترتبط باخرى مستطيلة تنتهي بسلك رفيع بشكل دبوسين معكوفين تعلق بالهبرية.

عه تيك:

شورابى: حلي من الذهب تخاط بالبوشيا لتزينها.



حانه كك:

كرموكا: حلي من الذهب متراففة هلالية أو نجمية تخاط على قطعة قماش لشد الرأس.

حافتك:

بربارى: قطع ذهبية دائرية خفيفة الوزن.. والقطعة الذهبية المزينة بعدد من فرفاري تسمى قمينى



الأكسسوارات:

تيتا: حلي من الفضة بسلاسل ثلاث متصلة ببعضها بوردة يتوسطها فص ملون تلف حول البوشيا وتتدلى منها قطع صغيرة بأشكال مختلفة فيها فصوص فتزين الجبين.



فحصتك:

فركيتي: ماشات باشكال واحجام مختلفة توضع في الشعر بعد تمشيطه وترتيبه لتثبيته.



ب - حلي ومصوغات الوجه:**كوك:**

عزرائى: شريط قماش تربط على طوله قطع من الذهب او الفضة، بيضوية الشكل تلف حول الرأس وعلى جانبي الوجه

سه وبتك:

خوزامى: حلي ذهب بشكل نصف دائرة مطعمة بالفصوص تعلق في ارنبة الانف

بده فك:

نطوبا: ليرة بثلاث فصوص زرقاء أو الفص الاوسط من قلادة الليرات.

بده بده:

طبوثا: فص ملون يزين الجبين يتدلى من غطاء الرأس بسلسلة من قطع ذهبية لوزية الشكل.

صده بده:

قدشياثا: اقراط أو تراجي ذهبية باشكال واسماء مختلفة توضع في شحمة الاذنين بعد ثقبها وتسمى ايضا (مروادى - كيراثا - قنشياثا - تركياثا - تربوشياثا).



٦٤٦:

جرجر: قلادة ذهب لتزيين الرقبة.

٦٤٧:

كردانا: سلسلة ذهب تتدلى منها قطع رقيقة تشبه الليرات، الوسطى اكبر حجما من الاخرى وغالبا تكون منقوشة ومرصعة بالشذرات الملونة، وتسمى أيضا بحنوقتا).

**٦٤٨:**

رش ناثا: اقراط من الذهب بشكل حلقات تتدلى منها بربارى.

٦٤٩:

حلقياثا: اقراط بشكل حلقة بثلاثة رؤوس تشبه حبيبات الرمان، وتسمى أيضا (ناعورى).

٦٥٠:

طوقا: قطعة قماش تتدلى منها صف من الحلبي الفضية الاسطوانية الشكل تزين الرقبة.

٦٥١:

زنقا: حلي من الذهب تزين تحت الدقن وتكون مثبتة بغطاء الرأس.



ج - حلي ومصوغات الاطراف



حوصلة:

عزقيات: محابس او خواتم باشكال ونقوش مختلفة ذهبية او فضية، مطعمة بفصوص ملونة
او الاحجار الكريمة او مطلية بالمينا.

عيناك:

شير: اسوار عريض ومفتوح والذي يشبه الخلخال يلبس في المعصم، وغالبا ما يكون ذا نقوش
او زخارف بارزة. مطعم بالاحجار الكريمة، والتي تلبس في زند اليد تسمى "كروميانا"

سهلك:

قولبي: أساور من الذهب عادة تكون سادة ورفيعة وتلبس مزدوجة أربع أو ست في المعصم

سلك:

خلخالي: نوع من الحبول بشكل حلقة دائرية مفتوحة و غليظة تلبس في رسغ الساق، ويتدلى
منها قطع صغيرة مزينة بالشذر الناعم باشكال مختلفة تحدث اصوات عند المشي. تصنع من
الذهب او الفضة

**سهلك:**

حجلي: تلبس في رسغ الساق غالبا ما تكون من الذهب او الفضة بشكل دائرة غير كاملة تنتهي
كل جهة منه بارتفاع بارز غالبا ما تكون سادة اي خالية من النقوش

د - حلي ومصوغات الصدر:**هـ-ك:**

سنجق: حلي من الفضة يشكل صفين أو ثلاثة صفوف من سلاسل عريضة تتدلى منها قلوب صغيرة أو أشكال لوزية أو هلالية، وتتوسطها وردة البييون كبيرة الحجم يتوسطها فص ملون تعلق من الوسط والجانبين بواسطة دبوس بشكل لسان العصفور حول حفرة الفستان لتزين الصدر.

هـ-ك:

كوبرا: سلسلة ذهب أو فضة تتدلى منها قطع صغيرة بأشكال مختلفة تخاط حول اليك.

هـ-ك:

هملا: سلسلة طويلة من الفضة ذات نقوش بشكل مربعات تنتهي بإيقونة، تلبس فوق الكتف الأيسر لتمتد حتى الخصر من الجهة اليمنى.

هـ - حلي ومصوغات الخصر:**هـ-ك:**

كيجرما: حزام من الفضة ذو نقوش بارزة، أحيانا يرتبط به خنجر فضي بواسطة سلسلة فضية أيضا.

هـ-ك:

يازما: حزام من الفضة أو القماش.

هـ-ك:

بفتي: حزام من الفضة مطعم باللون البنفسجي ويكون سادة.

هـ-ك:

زئارا: حزام منسوج من الصوف ومطرز بأشكال والوان مختلفة. ويسمى في بعض القرى شيباقا اما المنسوج من الكتان والحريير والمزخرف بالوان زاهية فيسمى (حياصا) وفي بعض القرى يسمى (خرخاصا)





حزام :

كمارا: حزام من الفضة يتكون من قطع مستطيلة مرتبطة ببعضها بحلقات فيها نقوش بارزة ومزينة بشذرات وتتدلى في الوسط سلسلة قصيرة مزينة بقطع فضية فيها فصوص ملونة.

المصادر :

- كتاب "أزياؤنا التراثية بابلية اشورية" - الطبعة الثانية- شيكاغو- ٢٠١١
- أعداد مختلفة من مجلة "التراث الشعبي"
- مقالنا الموسوم (الحلي والزينة في قرانا تاريخ ناطق) مجلة "بانيبال" / العدد ٣١ / المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية